اسم المادة الدراسية عربي : أدب عصور متأخرة .

اسم المادة الدراسية الانكليزي :Literature of Later Ages

اسم المحاضرة صفي الدين الحلي (حياته وشعره).

اسم التدريسي : أ. د. محمد عويد محمد الساير .

المستوى الدراسي : الثالث .

الدراستان : الصباحي / المسائي .

الاسبوع : الحادي عشر .

صفي الدين الحلي (٦٧٧ – ٧٥٠ هـ) (حياته وشعره) :

مدينة الحلّة التي اسسها المزيدون سنة ٤٩٠ للهجرة حملت مشعل الحضارة الإسلامية ردنا غير يسير من الزمن، وظلت ترقى سلم المجد يوم تخلفت مدن أخرى وطغى عليها الاضطراب في جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية من جراء تلك الهجمات المدمرة التي شنتها عليها المغول الذين سيطروا على الديار بالعسف والتنكيل ، وقضوا على معالم الحضارة والمدنية، إلا الحلة ، فقد نجت من هذا بأعجوبة ، فظلت شعلتها تتوقد ونور العلم والعرفان فيها يتوهج ، وظهر فيها علماء وأدباء ماهرون، منهم صفي الدين الحلي.

ولد **أبو الفضل صفي الدين عبدالعزيز بن سرايا بن علي الطائي** في مدينة **الحلة يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ للهجرة** . ونشأ في **حجر أسرة عربية لها مكانتها المرموقة** ، ومنزلتها الرفيعة ، **وتعلم القراءة والكتابة منذ الصغر** ، و درس علوم اللغة العربية وآدابها في شبابه، **ومارس الفروسية والصيد والألعاب المسلية كالنرد والشطرنج** ، وقد أشاد بمدينته الحلة التي ولد فيها ، وقضى طفولته وشبابه في ربوعها مثل قوله :

من لم ترَ الحلةَ الفيحاءَ مقلتُه ... فإنه في انقضاءِ العمرِ مغبونُ
فالغدرُ طافحةٌ والريحُ نافحةٌ ... والورقُ صادحةٌ والطلُّ موضونُ

وقوله:

ألا بلغْ هُديت سماةُ قومي ... بحلة بابل، عند الورودِ
ألا لا تشغلوا قلباً لبعدي ... فإني كل يوم في مزيدِ

وكان صفي الدين الحلي **معتزاً بأسرته** ، يفتخر بها ، ويذب عنها ، مثل قوله:

وأكسبني قومي وأعيان معشري ... حفاظ المعالي وابتذال الرغائبِ
سراة يقر الحاسدون بفضلهم ... كرام السجايا والعلى والمناسبِ
اذا جلسوا كانوا صدور مجالس ... وإن ركبوا كانوا صدور مواكبِ

وقد وقع في الحلة نزاع شديد على الرئاسة والإمارة، ولا سيما بين أخواله من بني محاسن، وآل أبي الفضل، وقتل خاله عبدالله بن حمزة بن محاسن غيلة وهو في مسجده ، ورثاه بقصيدة حارة ، وحث قومه على اخذ الثأر . ووقعت معركة حامية بين الطرفين قرب بغداد سنة ٧٠١ للهجرة ، عرفت بمعركة «زوراء العراق» ، شارك فيها صفي الدين الحلي ، وأبلى فيها

بـلاء حسـنة ، وأثخـن الجـراح فـي خصـومه، وأبـدى شـجاعة نـادرة ، ورسـالة فائتة ، ونظم **قصيدة حماسية،** قال فيها:

سـلي الرماح العوالي عن معـاليـنا

واستشهدي البيض هل خاب الرجا فيـنا

لمـا سـعينا فمـا رقـت عزائمنـا عمـا نـروم ولا خابـت مسـاعينا
يـا يـوم وقعـة زوراء العـراق وقـد دنّـا الأعـادي كمـا كـانوا يـدينونا
انـا لقـوم أبـت أخلاقنـا شـرفاً أن نبتـدي بـالأذى مـن لـيس يؤذينـا
بـيض صـنائعنا، سـود وقائعنـا خضـر مرابعنـا، حمـر مواضـينا

إنـه تـألق فـي هـذه الأبيـات أيمـا تـألق، ولاسـيما فـي البيـت الأخيـر، حيـث التقسـيم الجميـل والمقابلـة اللطيفـة ، وتكـاد تكـون القصـيدة كلهـا بهـذه النبـرة الحماسـية فخرا واعتزازا بقومه الميامين.

آثاره :

كـان صـفي الـدين الحلـي عالمـاً أديبـاً، وقـد تـرك تـأليف قيمـة فـي الأدب ، واللغة، منها:

١- **العاطـل الحـالي والمـرخص الغـالي :** يبحـث فـي فنـون الشـعر المسـتحدثة (الزجل ، المواليا ، المكان و كان ، القوما) .

٢ - **النتـائج الإلهيـة فـي شـرح الكافيـة البديعيـة :** طبـع بالمطبعـة العلمية في مصر سنة ١٣١٩ هـ.

٣- أغلاطي : وهو معجم بالأغلاط اللغوية الشائعة في عصره .

٤ - الدر النفيس في أجناس التجنيس .

٥ - كتاب الصيد بالندقية أو الخدمة الجلية .

٦- المثالث والثاني في المعالي والمعاني : وهو مختار من شعره.

٧- الميزان في علم الأدوار والأوزان: وهو يبحث في الموسيقى والاتها.

٨- رسائله : وصل إلينا منها أربع رسائل ، هي : رسالة الدار عن محاورات الفار، والرسالة المهملة ، والرسالة التوأمية، وحل المنظوم .

٩- ديوان شعره: يحتوي على أكثر من عشرة آلاف بيت في اثنى عشر بابا ، في كل باب يوجد فصلان أو أكثر ، وجملة الفصول ثلاثون ، والأبواب هي: الفخر والحماسة، المديح، الطرديات ، الوصف ، الإخوانيات ، المراثي، الغزل، الخمريات ووصف الأزهار ، الشكوى والعتاب ، الأستهداء والاعتذار، الألغاز ، الملح والأهاجي، الأدب والزهد.

وألحق بالديوان « الكافية البديعية في المدائح النبوية» وهي في ١٤٥ بيتا على وزن بردة البوصيري وقافيتها ، وديوانه «درر النحور في امتلاح الملك المنصور» .

شعره (الاغراض الشعرية والخصائص الفنية) :

اشتهر صفي الدين الحلي بالشعر أكثر من اشتهاره بالنثر مع إنه قد برز في كليهما. وعدّه النقاد والباحثون أشعر شعراء عصره لما امتاز به شعرها من خصائص وسمات على صعيدي المعاني والألفاظ .

ويعد باب **المديح** من أوسع الأبواب في ديوانه. وقد بدأه بمدح الر سول محمد ﷺ - وهو يتسم بالجودة والصدق في التعبير، من ذلك قوله، وهو في المدينة المنورة.

بكم يهتدي، يا نبي الهدى ... ولِيٌّ إلى حبكم ينتسبْ
به يكسبُ الأجرَ في بعثهِ ... ويخلص من هول ما يكتسبْ
وقد أمَّ نحوك مستشفعاً ... إلى اللهِ مما اليه نُسبْ
سلِ الله يجعلْ له مخرجاً ... ويرزقه من حيث لا يحتسبْ

ونرى صفي الدين يخصص قصائد كثيرة **للغزل** إلى جانب الشعر الذي جعله بين يدي المديح، وهو يعف في بعضها ويسف في بعضها الآخر ، ويصبح حليف نزوة وأسير شهوة، مقلدا الشعراء المجان المتهتكين ، وقد عارض ابن حجاج في بعض قصائده الفاضحة، وأظهر فيها مفاتن الجسد بشكل صارخ ومبتذل، ونورة هنا أبيات من غزله العفيف الرقيق:

يا ضعيف الجفون أضعفت قلباً ... كان قبل الهوى قوياً مليا
لا تحارب بناظريك فؤادي ... فضعيفان يغلبان قويا

وهذان البيتان ينمان على سلامة طبع وجمال أسلوب، ومثلهما الأبيات الاتية، وما ورد فيهما من حوار لطيف مع الطبيب الذي جس نبضه ، وشخص داءه، وعرف بلاءه:

ظن قومي أن الأساة ستّبري ... داء وجدي، أو العلاج يُفيدُ
فأتوا بالطبيب، وهو لعمري ... في ذوي فنهِ مجيدٌ مجيدُ
مذ رأى علتي وقد لاح للمو ... ت عليها أدلة وشهودُ
جسَّ نبضي وقال: ما أنت شاك؟ ... قلت ناراً لم يطفها التبريدُ

ومن الاغراض الشعرية التي جاءت في شعر صفي الدين الحلي **الوصف** ،وله ذوق جميل في ذلك ، إذ نراه يجيد وصف الحدائق والمروج الخضراء والحيوانات اللطيفة والطيور وكل ما يبعث في الطبيعة من بهجة وفرح في مثل قوله يرحب بقدوم فصل الربيع :

ورد الربيعُ فمرحباً بورودهِ ... وبنور بهجتهِ ، ونور ورودهِ
وبحسنِ منظرهِ وطيبِ نسيمهِ ... وأنيقِ ملبسهِ ووشي برودهِ

ومن الاغراض الشعرية التي جاءت في شعر الشاعر صفي الدين الحلي **الاخوانيات** وهي القصائد التي تقال في الاصدقاء والخلان ويبين فيها الشاعر مودته الاخوية لهؤلاء الاصدقاء والاحبة الذين قضى معهم أجمل الأيام والذكريات ولا سيما مع صفي الدين الحلي الذي شعر بالغربة والحنين وبكى الفراق والحنين لهؤلاء بعد أن ودعهم وارتحل عنهم في غيبة طويلة بعد رحلاته إلى الشام وماردين ومصر والحجاز ، ومن ذلك قوله :

بكيتُ لفقدِ الأربعِ الخضرِ منـــكمُ علــى الرملةِ الفيحاءِ بالأربعِ الحُمرِ

فكيفَ بقي إنسانُ عيني وقد مضى علـــى ذلك الإنسانِ حين من الدهرِ

ومن الاغراض الشعرية التي نظم فيها شاعرنا صفي الدين الحلي **الرثاء** ، وأجاد فيه وقد احتوى ديوانه على الكثير من القصائد والمقطوعات في هذا الغرض ، منه ما رثى به الملوك والأمراء ومنها ما رثى بها الأقارب والاصدقاء . ومن ذلك قوله يرثي أخاه عبد الله سنة ست وعشرين وسبعمائة :

بكيتُ دماً لو كان سكبُ الدِما يغني وضاعفتُ حزني لو شفى كمداً حزني

وأعلمُ أنَّ الحزنَ والموتَ واحـــدٌ عليّ، فذا يضني القلــوبَ وذا يفــني

ولم يقتصر غرض الرثاء في شعر صفي الدين الحلي على القصيد بنظام الشطرين فقط وإنما جاء هذا الغرض في شعر الحلي في أشكال أخرى من النظم منها المخمسات ، وله يخمّس قصيدة ابن زيدون في رثاء الأديب المؤرخ الملك المؤيد اسماعيل بن علي صاحب حماة :

كان الزمان بلقياكم يمـــنينا وحـــادثُ الدهرِ بالتفــريقِ يُثينا

فعندما صدقتْ فيكم أمانــينا (أضــحى التنائي بديلاً عن تدانينا

ونابَ عن طيبِ لقيانا تجافينا)

إن شعره على العموم يتراوح بين مجموعة صادرة عن فطرة وطبع سليم، وأخرى غلب عليها التكلف والصنعة، ويبدو أنه تابع في المجموعة الثانية أولئك الذين قيدوا أنفسهم بالصور البيانية والبدي حمية ، وأراد أن يتسوق عليهم ، فجنس واقتبس وضمن وقابل ونشر وطوي وقسم، وتعمد التشبيه والاستعارة والكناية ، وتلاعب بالحروف، فأهمل وأعجم ، والتزم ما لا يلزم ، وبني أحيانا على لفظ واحد يردده في روي كل بيت مع اختلاف المعني . وابتدع الموشح المضمنة مثل قوله:

وحقِ الهوى ما حُلتُ يوماً عن الهوى ولكن نجمي في المحبة قد هوى

وما كنت أرجو وصل من قتلتي نوى وأفني فؤادي بالقطيعة والنوى

و ليس في الهوى عجبُ إن أصابني النصبُ

حامـــل الهـــوى تعـــبُ يســـتفزه الطـــربُ

أما شعره الذي سلم من الصنعة والتكلف فيتميز برقة الألفاظ وسهولتها ووضوح المعاني وصحتها، وقد أشار إليه بقوله:

لـــــيس البلاغـــــة معنـــــى فيـــــه الكـــــلام يطـــــولُ
بـــل صـــوغُ معنـــى كثيـــر يحويـــــه لفـــــظ قليـــــلُ
فالفضـــل فـــي حســـن لفـــظ يقـــــل فيـــــه الفضـــــولُ
يظنـــــه النـــــاس ســـــهلاً ومـــــا إليـــــه ســـــبيلُ